

— هذا رجل قد ضل طريقه ، فعمل بالسياسة بدلا من العلم . أنظر في عينيه ، ماذا ترى؟! ترى النبوغ . العبقريّة .

قلت له :

— هذا رأي مفروض مرجعه الخلافات المذهبية . وان عيني ابراهيم لا تعبران عن شيء مطلقا ، وان قدراته كلها في لسانه .

فقال لي :

هذه حماقة يا مينا . فالعين مرآة الجسد .

وافترقنا . وقلت لنفسي ، اذا أصاب ابراهيم في قوله ، بأن العين ليست مرآة الشيء ، فاني من الخاسرين ، أما اذا صدق معي قول التوراة ، فربما أظفر بها .

## جميل عطية ابراهيم

وسارت الايام والاسابيع والشهور حثيثة ولم تفصح عيناها عن شيء محدد . وعدت الى صديقي سلامة أسأله المشورة . فروى لي شيئا عن تجاربه العاطفية . وعجبت من أمري . فقد كنت لبلاهي لا أشغل بالي به مطلقا — رغم صداقتنا الحميمة — وأظنه وقد بلغ الخمسين من عمره زاهدا في الزواج . وأيقنت منذ ذلك الحين أن العين ليست مرآة لشيء ، فعينا صديقي سلامة كانتا دائما فرحتين ، فيهما لمعة ، وفيهما بهجة .

والان وقد فرغ الحب ، وقد عادت لي حياتي فلا بد من البحث عن الحقيقة ، أما الايقونة أو زهرة الاركاديا ، فاسمها لن أعلنه الى حين زواجها . وعندئذ سوف تتكفل هي بانكار كل شيء .

قلت لها . ذات مرة . لنضع هذه الامور .

لكنها رفضت قولتي وقالت ، انها اذا تزوجت اختارت عجوزا ثريا ، وربما صدق سلامة في قوله ، ان العين مرآة الجسد ، فقد كان في عينها بريق ما ، كأنها كانت تسعى نحو نهاية محتومة . ولكن الحب مفسدة ، وأعمى القلب من يحب امرأة واسعة العينين . وقد كنت أنا هذا الرجل .

ذات مرة ، سألت صديقا لي يعمل بالقضاء ، هل يرى شيئا في عيني المتهم ؟

فقال لي انه في عمله دائما يهتم بالوقائع المادية فقط ، وان رجال الامن يهتمون في المراحل الاولى من التحقيقات بمناجعة عيني المتهم واتجاهات نظراته وحركة يديه ، أما الوجوه فليست لها قيمة كبرى لديهم . وكنا في المقهى نطلق على صديقي هذا صفة نابية — رغم ذكائه وتفوقه — نصفه بأنه رجل خفيف العقل .

## العين مرآة الجسد

جذبني اليها ، وبدأت لقاءنا تتعدد . هي نحيلة القوام ، لها وجنتان بارزتان وشفتان رقيقتان وعينان واسعتان ، وأنف كبير معوج يميل قليلا الى اليمين ، وشامة سوداء أسفل الرقبة عند أعلى الصدر . وهي أيضا رقيقة الاردا ف ، طويلة القامة ، ضامرة الثديين ، شعرها يتساقط بكثرة ، ولكن وجهها فيه كل السحر . فوجهها وجه ايقونة .

ومنذ خمس سنين رويت لصديقي ابراهيم شيئا عنها . وهو رجل سياسة منذ شبابه — ولكنه كف عن السياسة بعد حرب اكتوبر — وسألته ماذا أفعل ؟ فطلب مني أن أصفها له بدقة ، ففعلت ، وأخذت أصف له جسدها جزءا جزءا .

وتناول ابراهيم كوب الشاي — وكنا نجلس وقتها على مقهى ريش — وقال لي في لهجة حاسمة ، انها تشبه الايقونة فعلا ، ولكنه قد تعلم من كثرة دخوله المعتقالات ووقوفه أمام المحاكم ، انه لا يمكن التنبؤ بتصرفات الافراد من تأمل ملامح وجوههم . وزعم أيضا أن مخابرات العالم كله ، قد أدركت هذا الدرس بعد الحرب العالمية الاولى .

قلت له ، ان جمال عبد الناصر كان يفحص بنفسه صور الزعماء ويحدد موافقه منهم قبل استقبالهم . فقال لي ضاحكا ، هذه أقوال صحفية . سألته ، ماذا يقصد ؟ فقال لي ، انه لا يقصد شيئا .

وكنت لا أنوي مناقشته في السياسة أو في سيرة جمال عبد الناصر بطبيعة الحال ، فقد كنت أعرف رأيه في سيرته ، وكل ما كان يشغلني هو ايقونتي وعيناها الواسعتان الشاخصتان ، وفادرتي وأنا لا أحس براحة لقوله . وذهبت الى صديق لي يعمل بالتدريس ورويت له القصة ، فقال لي في دهشة حقيقية :

— عجيب أمرك يا مينا . ألم تقرأ التوراة ؟

قلت له ، بلى .

قال لي :

— العين مرآة الجسد .

وراقني هذا القول « العين مرآة الجسد » وكأنني أسمعه لأول مرة في حياتي . وسألته رأيه في ابراهيم فقال لي :

وكنت أحدثه عن الفن القبطي والنظرة الشاحصة الى أعلى ، والوجوه العذبة ، والاضاءة الداخلية . فيقول لي ساخرا :

— هذه أوهام . فالوجوه ليست عذبة . ولا توجد اضاءة داخلية وأخرى خارجية ، وان الامر كله يتعلق بحب امرأة ما ، وسوف يبقى الحب لفترة ثم يمضي كما مضت الايام السابقة .

وكان خفيف العقل مصيبا في قوله ، فلأسى لا يعرفه غير صاحبه .

وعندما أتذكر الان ما حدث ، وأعود الى أقوال أصدقائي ، أجد واحدا منهم كان صريحا معي للغاية ، وقاسيا معي قسوته على نفسه ، فقد قال لي عدة مرات : — لا تضع اصبعك تحت ضرس امرأة يا مينا .

وقال لي صدقي أيضا :

— هذه الفتاة لا تحبك . واذا أحببتك لن تتزوج منك .

وكنت أعارضه ، فيبتسم ويقول لي ضاحكا ،

سنرى .

وها هي نبوءته قد تحققت .

وها هي قد سعت لتحقيق شيء ما .

وسألته رأيه في الاتصال بها بعد اعلان خطوبتها ،

فحذرني من مغبة ذلك ، وطلب مني الابتعاد عنها كلية ،

ونسيان الامر برمته .

قلت له ، ربما تخجل من فعلتها .

فأجابني في سخرية قائلا :

— أنت واهم . انهن يذهبن الى السينما ، ويتأثرن

بفراق البطل ، وتدعم أعينهن طويلا ، ولكنهن عند الزواج

يقررن شيئا آخر .

قلت له في سداجة مبتسما ، وبعد الزواج ؟

قال لي ضاحكا :

— يفعلن أيضا شيئا آخر .

وصدقي علم النفس هو مجال تخصصه ، وهو

سر بروده أيضا . وعندما كنت أسأله الرأي في مشكلة ما ،

كان يفاخني دائما برأي لا أتوقعه ، ثم تثبت لي الايام

فيما بعد صحته . ولكنني كنت مدفوعا اليها ، ففي ملمس

قدمها أحس بنعومة الرحم . وكنت أطلب منها أن تحملني

في داخلها وأن تجعلني أعشش في رأسها ، فتقول لي ،

أمجنون أنت !؟

فأقول لها ، نعم .

.....

« العين مرآة الجسد »

أرقتني هذا القول كثيرا دون جدوى . وعندما أرجع

بذاكرتي الى عدة سنوات مضت ، أرى ان اتساع عينيها

لم يكن هو سر اندفاعي نحوها ، وان رؤيتي لها كأيقونة

لم تتم عند بداية تعارفنا ، بل جاءت في فترة لاحقة ،

وبطريقة عفوية وبدون قصد مني . وان سر اعجابي بها

في البداية كان مرجعه كتفيها . فقد كنت أحيطهما بيدي ، وتسلّني رأبي في النساء ذوات الصدر البارز ، فأقول لها انني لا أحب ضروع الإبقار ، فتبتسم راضية .

وعندما افترقنا في آخر لقاء لنا ، ودعنتني دون أن تحدد في وجهي . وكانت تحمل لفافة كبيرة في يدها ، وعندما طلبت حمل اللفافة عنها ، رفضت .

والان وبعد سنة كاملة ، في مقدوري أن أعرف ماذا كانت تخفي في داخل اللفافة . فقد كانت تسير بجواري بينما هي تحمل في يدها فستان الزفاف ، وهذا ما صرحت به لصديقة لها فيما بعد .

وقلت لسلامة ، مالي قد أصبحت غبيا الى هذا الحد ؟

فقال لي ، دعها . فسوف تندم على فعلتها .

وحدثني طويلا عن شقة صغيرة في حلوان ، دفع من أجل الحصول عليها كل ما يملكه . وسألته ، هل تصلح هذه الشقة للزواج .

فقال لي ، كلا .

وكنت قد فقدت الامل في العثور على شقة مناسبة لي ، فاستمعت اليه ، دون اهتمام . وعندما سألته ، هل العين مرآة الجسد ؟

قال لي في اصرار : نعم .

وكان خائفا من الموت كعادته ، وأخرج من جيبه فجأة عدة قصاصات من الصحف ، وأخذ يقرأها . وكلها تتعلق بحوادث تصادم القطارات ، في سيبريا وكينيا ويوغوسلافيا والقاهرة .

وقرات هذه القصاصات وضحكت . ونظرت فسي

عيني ، فوجدته خائفا . وقلت له ، ان آلاف البشر

يذهبون ويجيئون يوميا الى حلوان بالقطارات فلم

يصدقني .

وقلت له ونحن نحتمي البيرة ، ان صدقي يرى

أن بعض النساء يفضلن العجائز . فقال لي ، انه رجل

أحمق ، وزعم أن عيني صدقي تشبهان عيني السمك الميت

في لونهما وشكلهما . وقال لي أيضا ، ان تبدل الاحساس

الذي يتميز به صدقي ، يتميز به كل أهل قريته ، فدون

قرى الصعيد بأكمله ، رجال هذه القرية يتميزون ببلادة

الحس ، ونساؤهم يتمتعن بحرية قل أن تتمتع بها امرأة

في صعيد مصر .

ووافقتني على رأيه . وقلت لنفسي حقيقة العين

مرآة الجسد ، ففي عيني جحوظ يشبه جحوظ عيني

السمك الميت ، وعندما يتكلم يتكلم في رتابة .

وعندما أعود الان الى أوراقي ، وأتذكر الطريقة

التي حدثني بها صدقي ، عن حماقاتي وطيشي ، أدرك

ما حدث . ففي ذات صباح وجد صدقي منتحرا في

غرفته .